



بر الوالدين — ولو كانوا كافرين — يستغرق العمر جميعه، وكله فضائل وبركات ومنافع وفوائد دنيوية وأخروية وهكذا الثنائي عشر ثمرة لذلك:

— أَحَبُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيْ؟ قَالَ: «ثُمَّ بْرُ الْوَالِدَيْنِ...» [1]

2 - رضا الرب في رضاهما: في الصحيح: رضا الرب في رضا الوالد و سخط الرب في سخط الوالد [2]

3 - ثناء الله على البار وحسن السيرة في الناس: ثناء الله على يحيى " وَبَرًا بِوَالِدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا عَمَّيًا" [3] وعلى عيسى "وَجَعَلَنِي نَبِيًّا\* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ.. وَبَرًا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيقًا" [4] وثناء الرسول صلوات الله وسلامه على أوس في الصحيح " يَا أَيُّهَا أَيُّهُمْ أَوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ.. لَهُ وَالدَّةُ هُوَ بَهَا بَرٌّ" [5]

4 - أَوْسْطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: فِي الصَّحِيفَةِ "أَنَّ رَجُلًا أَتَى أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي لَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى تزَوَّجَتْ وَإِنَّهُ الْآنَ يَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا. قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْرُكَ أَنْ تَعُقُّ وَالدِّكَ وَلَا أَنَا بِالَّذِي أَمْرُكَ أَنْ تُطْلِقَ امْرَأَتَكَ.. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الْوَالُدُ أَوْسْطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَحَافِظْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أَوْ دَعْ) قَالَ: فَأَحْسِبُ عَطَاءً قَالَ: فَطَلَّقَهَا[6]

فَبِكُمْ حَتَّىٰ أَوْلَىٰ الْمَبِيتَ إِلَىٰ غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحٍ أَعْمَالَكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبُوَانِ شِيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا فَنَّا إِلَيْهِ فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ نَامَا، فَحَبَّبْتُ لَهُمَا غَبُوْقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمِينَ وَكَرْهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَىٰ يَدِيِّ، أَنْتَنَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّىٰ بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتِيقَظَا، فَشَرَّبَا غَبُوْقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرَّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، وَبِنَفْسِ الدُّعَاءِ مِنَ الرُّجُلِيْنِ الصَّالِحِيْنِ الْأَخْرَيْنِ "اَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُوْنَ" [7]

6 – البركة في العمر في الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: "لَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبُرُّ". [8]

7 – قبول التوبية وكفارة الكبائر: في التنزيل "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِنُ السَّيِّئَاتِ" [9] وفي الصحيح "وَتَبَعِي السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحَاهَا" [10] وفيه أيضاً: قال رجل: يا رسول الله، إِنِّي أَصْبَتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي مِنْ تُوبَةٍ؟ قال: ((هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ))؟ قال: لا، قال: ((فَهَلْ لَكَ مِنْ خَالِةٍ؟)) قال: نعم، قال: ((فَبَرَّهَا)) [11] قال الإمام أحمد: «بَرُّ الْوَالِدِيْنِ كَفَارَةُ الْكَبَائِرِ» [12]

8 – استجابة الدعاء: أصحاب الغار الثلاثة فيه أن البار بوالديه قال "اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرَّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتِ" [13] وقد بوَّبْ له البخاري في صحيحه باب إِجَابَةِ دُعَاءِ مَنْ بَرَّ وَالْدَّيْهِ كِتَابُ الْأَدَبِ وَحِدِيثُ أَوْيَسِ الْقَرْنَيِّ فِي الصَّحِيفَةِ "يَأَيُّهَا أَيُّهُمْ أَوْيَسُ بْنُ عَامِرٍ.. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ، فَإِنِّي أَسْتَطَعْتُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَأَفْعُلُ" [14] فكان عمر رضي الله عنه مع علو قدره وارتفاع مكانته وصحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتقدَّمُ بهمَّةُ الْجَهَادِ حَتَّىٰ وَجَدَ فَعْزَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ.

9 – قبول الأعمال الصالحة والتجاوز عن الصغائر: بعدهما ذكر تعالى دعاء العبد الصالح لوالديه في الأحقاف "رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالْدَّيْهِ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبَتِّ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ" [15] قال بعدها "أَوْلَئِكَ الَّذِيْنَ تَنَقَّبُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَنَجَّاْزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدِيقُ الَّذِيْنِ كَانُوا يُوعَدُوْنَ" [16]

10 – شكر الله تعالى: قرن الله تعالى شكره بشكرهما "أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيْكَ إِلَيَّ الْمَحْسِرِ" [17]، وبر الوالدين شكر لهما واعتراف بجميلهما، في الحقيقة شكر لله، وفي الصحيح قال – صلى الله عليه وسلم – ((من لم يشكر الناس لم يشكر الله)) [18].

11 – دعاء الوالدين لولدهما: في الصحيح: كان أبو هُرَيْرَةَ إِذَا دَخَلَ أَرْضَهُ بـ (الْعَقِيقَ) صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا أَمْتَاهَا! تَقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ يَقُولُ: رَحِمَكِ اللَّهُ كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا. فَتَقُولُ: يَا بُنْيَّ! وَأَنْتَ. فَجَزَّاكَ اللَّهُ خَيْرًا وَرَضِيَ عَنْكَ، كَمَا يَرْدَتِنِي كَبِيرًا" [19]

12 – بر أولادك: بر الوالدين شجرة تجني ثمارها في الدنيا قبل الآخرة لنصوص كثيرة في التنزيل "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" [20] في الصحيح قال أبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: وَاعْلَمُ أَنَّ الْبَرَّ لَا يَبْلِي، وَأَنَّ الْإِثْمَ لَا يُنْسَى". [21] ومن ثمار برهما بر أولادك بك. ولا يغيب عن بال أحد تلا كتاب الله الخالد، ما كان من بر إبراهيم – عليه السلام – بأبيه لقد بذل الوسع في النصح برقعة متناهية، ولطف في العبارة، وجمال في القول وإشراق و Mood بالغين كما في مريم "يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابًا مِنَ الرَّحْمَنِ" [22] ورغم تهديد أبيه له "..لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًا" [23] فما ثار ولا فقد أعصاه بل ظلل رفيقاً رقيقاً شفيفاً "سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفْيًا" [24] ولذا كافأه الله تعالى ببر ولده النبيح ولك أن تخيل كيف كان التجاوب مع الأمر بالنبيح .. يَا بُنْيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعُلُ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ

بوابة الشرق

المصادر: